

## ١٧- في جمالية النهر الشفوي

### بين الشفوية والكتابة:

تعدّ الكتابة مرتبة من مراتب النشاط الإنساني في بناء حضارته، وتقيدها ضمن حيز معلوم لنقل تجاربه المعيشة. وقد يتبادر إلى الذهن أن الكتابة قد أسهمت كثيراً في القضاء على الشفوية، لما قامت بتدوين النصوص الشفوية للمجتمع البشري لحفظها وصونها من الضياع والإهمال. وكثيراً ما نشير إلى أهمية التدوين في تاريخ الفكر الإسلامي، إذ بوساطته وصل إلينا النص الديني، والكثير من التراث الإسلامي الأول، ونزعم أيضاً أن الكتابة أكثر أمانة من الذاكرة التي تعتمد عليها البشرية في سرد أحداثها ومتغيراتها.

وقد نتساءل عن وظيفة اللغة، فهل تحدد وظيفتها في إنتاج الفكر أو في توصيله؟ يبدو أن اللغة تنتج الفكر وتوصله، ومن هنا تستفيد من الكتابة في إنجاز وظيفتها.

هذا، وقد ذهبت اللسانيات مع دي سوسير إلى الاهتمام بالصوت والاعتناء به وتمجيده على حساب الكتابة، فارتبطت الحقيقة بالصوت وتم تحقير الكتابة، ولكن "غياب الرموز المدونة أو النص المكتوب يجعل من المتعذر القراءة والاحتفاظ بالمقدمات المنطقية وبتنظيمها. وبالتالي يصعب التنظيم المنطقي ويبطل الاستنتاج" (1).

ويبدو أنه لا توجد لغة من دون صوت أو حركة أو رسم (كتابة) وهناك علاقة جد وطيدة بين القوانين التي تحكم المجموعات اللسانية الصوتية والنحوية والأسلوبية والسيمائية، وتنعكس هذه القوانين العلاقات الموضوعية بين الموضوع المتحدث عنه، والحقيقة الخارجية، فالرموز الكتابية هي أشياء يمكن بفضلها أن نعبر عن علاقات الموضوعات المتبادلة، لكنها أشياء تناولها يكون